مرزوق الحلبي (*)

# «عرص بوييتيك» ـ حركة شعرية يتحدى بها الجيل الثالث من اليهود الشرقيين المؤسسة الأشكنازية!

- **شعر يُجمع النُقاد على أهميته الثقافية السياسية لكنهم يختلفون حول مستواه الفني**
- **مبدعات ومبدعون شرقيون يؤكدون أهمية هذه الحركة لكن لا يروق لهم تأسيس مشروع شعري كامل على الغضب والاحتجاج**

نشأت على محور التوتّر الأشكنازي ـ الشرقي (اليهود من أصل أوروبي مقابل اليهود العرب من أصول شرقية) في المجتمع اليهودي في إسرائيل الحركة الشعرية المسمّاة «عرص بوييتيك»(عرص الشاعرية). ففي صلب هذه الحركة ثيمة الصوت الشرقي المحتج على عقود من قمع الهوية الشرقية والثقافة التي حملها المهاجرون اليهود من أصل شرقي معهم إلى «البيت القومي اليهودي» في فلسطين التاريخية. في أساس هذه الحركة مجموعة من الشعراء والشاعرات من الجيل الثالث لليهود الشرقيين الذين اختاروا أن يتمحور شعرهم حول هويتهم الشرقية الساعية إلى استرداد الكرامة التي انـتُهكت في إطار سياسات «أتون الصهر» التي كرّسها جيل المؤسسين للدولة العبرية. وهو ذو أصول أوروبية أراد أن يفرض هيمنة ثقافية تنفي الشرق وما يعنيه وتتماهى مع الثقافة الأوروبية وتتمثّلها. وفي هذا الإطار تعرّضت موجات الهجرة اليهودية الأولى من الأقطار العربية إلى قمع ثقافي لغوي سياسي قُصد به قطعهم عن ذاكرتهم وتاريخهم وإرثهم ودمجهم ضمن المجتمع الإسرائيلي الجديد ذي الطابع الغربي على مقاسات النُخب الغربية الأشكنازية.

ليست هذه المرة الأولى التي ينتفض فيها الشرقيون ضد الهيمنة الغربية في المجتمع الإسرائيلي. فقد سبقتها ثلاث موجات من الاحتجاج والتنظّم على أساس شرقي في مواجهة الهيمنة الأشكنازية الغربية. ومنها «أحداث وادي الصليب» في حيفا ـ نهاية الخمسينيات من القرن الماضي (١٩٥٩) حينما قمعت الشرطة احتجاجات المهاجرين الشرقيين ضد سوء أحوالهم. وفي المرة الثانية كان الاحتجاج من خلال منظمة «الفهود السود» في السبعينيات ـ الجيل الثاني للمهاجرين من

(*) كاتب فلسطيني- دالية الكرمل

**واللافت أن هذه النشاطات تحظى بحضور غفير وإقبال من الجمهور اليهودي الشاب بما في ذلك من اليهود الغربيين. ففيه حسب أقوال المنظمين مجال جديد من قضاء الوقت الاجتماعي وفيه نسمة هواء منعشة هي بين الثقافة العالية وبين ثقافة الترفيه لكن دون إسفاف أو هبوط. فالكلام الذي يجري في هذه الأمسيات يحمل رسالة غضب مشروع واحتجاج يعتمل في صدور الجيل الثالث من الشرقيين القادر على البوح ليس كما كان الأمر مع آبائه وأجداده الذين قُمعوا حتى غاب صوتهم بشكل شبه نهائي خاصة عن الساحة الثقافية التي احتكرها الغربيون وأقصوا منها غيرهم.**

اصول عربية ـ التي أعلت شأن الهوية الشرقية وقادت نضالات عنيفة أحيانا من أجل المساواة ووقف التحقير الذي لحق بالهوية الشرقية وحامليها. ويعتبر علماء الاجتماع والسياسة في إسرائيل قيام حركة «شاس» الدينية الشرقية أهم حدث على محور توتّر الشرقيين ـ الغربيين في إسرائيل لأن الحركة غيّرت قواعد اللعبة السياسية في إسرائيل كليا. وعلى الخلفية ذاتها ظهرت حركة «القوس الشرقية الديمقراطية» ـ وهي حركة من المثقفين والأكاديميين والناشطين الاجتماعيين الشرقيين أرادت أن تتابع نضالات الشرقيين من منطلقات نقدية مناهضة للسياسات العامة. وقد تراكمت تجارب الاحتجاج لتنعكس مؤخرا في نشاط أدبي في الجيل الثالث من المجتمعات اليهودية الشرقية في إسرائيل تمثّله مجموعة «عرص بوييتيك».

أما أصل التسمية فهي من اللاتينية «ars poetica» ومعناه "فنّ الشعر". وللتسمية معنى آخر هو "الشعر في نظر نفسه"، وهو عبارة عن نصوص مؤدّاها اهتمام الشاعر بنفسه وبشعره من خلال توصيف سيرورات الكتابة ودوافعها وشروطها وخلفيتها ومفهوم الشعر وردود فعل الجمهور. يصوغ الشاعر من هذه الثيمات مادته الشعرية وقصائده. وهي ظاهرة قائمة في النثر أيضا وفي باقي الفنون الإبداعية. إن استعمال هذا المصطلح في حصص الأدب في الصفوف العليا يقود فورا إلى تداعي كلمة "عرص" كما هي في أفكار مسبقة لليهود الأشكناز عن اليهود الشرقيين. وهي أفكار الذين "فوْق" عن الذين "تحت". ومعناها الشخص الأزعر أو قواد النساء أو "المشكلجي"! ويضحك التلاميذ من التداعي الذي لا يُمكن منعه. وقد أخذ الشعراء والشاعرات من المجموعة الشرقية هذا التداعي وقرنوه بـ "بوييتيكا" فصار المصطلح اللاتيني الدال على الظاهرة محرفا لـ "عرص بوييتيكا" ليردوا بها على استعلاء الأشكنازيين وعنصريتهم تجاه الشرقيين. ومن هذا التداعي ذي الدلالات السالبة تُنتج المجموعة شعرا وفنا وإبداعا جميلا أو صارخا في وجه العنصرية الأشكنازية وهيمنة الثقافة الغربية على الأدب العبري والإبداع برمّته.

## شعراء يقولون كلّ شيء!

لن نستطيع أن نعرض لكل الشاعرات والشعراء الذين يشكلون هذه الظاهرة اللافتة في المشهد الشعري والثقافي في إسرائيل لسببين، لأن عددهم غير معروف ولأن هناك تحفّظا لدى بعضهم على التعريف ويعتبرونه نوعا من التصنيف الذي يلعب لعبة الأشكناز الغربيين في المؤسسة النقدية وفي أعين الثقافة الغربية ووكلائها. وهم لا يكتفون بالنشر في الصحف أو الدوريات الأدبية بل ينشطون في تنظيم أمسيات شعرية تحّولت في السنوات الأخيرة إلى مشهد مألوف وتيرته عالية خاصة في أماكن تجمّع اليهود من أصل شرقي (عربي). وهي ندوات يتناوب فيها المبدعون من هذه الحركة على قراءة أعمالهم الشعرية أو النثرية وما بينها بمرافقة موسيقى وغناء بالاتجاه نفسه ومما أحضره الشرقيون من الدول العربية أو مما طوّروه هنا من غناء احتجاجي يحكي قصّة الشرقيين ومعاناتهم والقهر الذي تعرّض له آباؤهم وأجدادهم. واللافت أن هذه النشاطات تحظى بحضور غفير وإقبال من الجمهور اليهودي الشاب بما في ذلك من اليهود الغربيين. ففيه حسب أقوال المنظمين مجال جديد من قضاء الوقت الاجتماعي وفيه نسمة هواء منعشة هي بين الثقافة العالية وبين ثقافة الترفيه لكن دون إسفاف أو هبوط. فالكلام الذي يجري في هذه الأمسيات يحمل رسالة غضب مشروع واحتجاج يعتمل في صدور الجيل الثالث من الشرقيين القادر على البوح ليس كما كان الأمر مع آبائه وأجداده الذين قُمعوا حتى غاب صوتهم بشكل شبه نهائي خاصة عن الساحة الثقافية التي احتكرها

**يقول روعي حسان: «لقد وطّنوا أهلنا في الأطراف في خط المواجهة مع الفلسطينيين وسائر العرب. وهكذا، فإن حالات التصعيد جعلت من أهلنا في الأطراف ضحايا قصف أو عمليات الأمر الذي دفعهم دفعا إلى العداء مع تاريخهم ومع ثقافتهم العربية. حالة جعلتهم رأس حربة لليمين بفعل واقع كهذا جعلهم تحت الضربة». وتابع يقول: «أصلا، لم يكن الرابط بين اليهود وأرض إسرائيل رابطا سياسيا، بل هو رابط روحاني يربطهم بالصدّيقين والأولياء اليهود الذي عاشوا في فلسطين التاريخية. بمعنى، هناك رواية أخرى عندنا غير التي ترويها المؤسسة السابقة أو اللاحقة. وهنا لا فرق بين نُخب اليمين ونُخب اليسار لأنها واحدة في جذورها».**

الغربيون وأقصوا منها غيرهم.

وفي معرض القول، تكرّس هذه المجموعة الكلام اليومي في نصوصها ناقلة بذلك الحياة اليومية إلى المسامع. واللغة في هذه القصائد مُشبعة بلغة الغضب الذي لا يُحدّ في نفوس الشرقيين على اختلافهم. ولأنه غضب فلا بدّ من الشتيمة ولا بدّ من البذاءة أحيانا. حتى لو خلت النصوص من البذاءة أو السوقية فإنها مباشرة مُتّهمة مُشيرة بإصبعها إلى «الفاعل» اليهودي الغربي أو المجتمع الأشكنازي مؤسس الدولة ومُرسي ثقافتها الغربية.

ويقول روعي حسان في حديث معه إنه مشغول تماما بما تعرّض له آباؤه وأجداده من الشرقيين الذي وصلوا من الإقليم العربي وإنه كمُبدع ملتزم بكشف مدى الغُبن. وقال: «لقد وطّنوا أهلنا في الأطراف في خط المواجهة مع الفلسطينيين وسائر العرب. وهكذا، فإن حالات التصعيد جعلت من أهلنا في الأطراف ضحايا قصف أو عمليات الأمر الذي دفعهم دفعا إلى العداء مع تاريخهم ومع ثقافتهم العربية. حالة جعلتهم رأس حربة لليمين بفعل واقع كهذا جعلهم تحت الضربة». وتابع يقول: «أصلا، لم يكن الرابط بين اليهود وأرض إسرائيل رابطا سياسيا، بل هو رابط روحاني يربطهم بالصدّيقين والأولياء اليهود الذي عاشوا في فلسطين التاريخية. بمعنى، هناك رواية أخرى عندنا غير التي ترويها المؤسسة السابقة أو اللاحقة. وهنا لا فرق بين نُخب اليمين ونُخب اليسار لأنها واحدة في جذورها».

وعن حركة الشعر «عرص بوييتيكا» قال «إنها تحكي هذه الرواية وما نتج عنها من غبن وقهر وقمع لليهود الشرقيين. وأشير إلى أن الأصوات الشرقية ضمن هذه الحركة متعددة وليست واحدة. لدينا تمايزات داخل الحركة وأصوات مختلفة وإن أتت من الخلفية ذاتها والتجربة ذاتها. لكل منّا صوته وخاصيته».

في الحركة مَن يذهب بقصة التمايز هذه أبعد ويُشير إلى وجود خلافات جندرية وفكرية بين الشعراء والشاعرات من هذه الحركة. وحصل مؤخرا أن اعتبرت عدي كيسار مثلا اهتمام محرر هآرتس بيني تسيفر بشعراء من زملائها بمثابة وصاية أشكنازية على الشعر الشرقي وأنه ـ تسيفر ـ غير معني أصلا بدعم حركة الشعراء الشرقيين وإنما تكريس صورتهم كأصحاب ثقافة متدنية المستوى لا يُمكن أن تظهر إلا بدعم الأشكنازي الذي قامت ضده! واتهمته بكراهية النساء الشرقيات الشاعرات بدلالة أنه لم يهتمّ بهن ولم ينشر لهن في الصفحات الثقافية رغم كونهن الأجدر بذلك. وقد أثارت أقوالها هذه انتقادات حادة في الجناح الشعري في الحركة الذي يتعاون مع تسيفر.

ومع هذا هناك اختلافات في شعر تهيلا حكيمي مثلا، وبين شعر عدي كيسار وهما تظهران في العادة مع بعضهما في الأمسيات ذاتها. فحكيمي كما يظهر في شعرها متعددة القضايا والمواضيع وغير مسكونة بالهم الشرقي في كل نص أو حركة وإن كانت تتمتع بحساسية عالية لهذا الملفّ وتتناوله. أما شعرها فيتّسم بالمتانة وباللغة الفريدة خاصتها. هذا، خلافا للغة الشعر المحكية عند كيسار. كذلك الأمر بالنسبة للاختلاف في سمات الشعر بين يونيت نعمان ـ ولا تحسب نفسها بالكامل على حركة «عرص بوييتيكا» ـ وبين شعر روعي حسان. فشعر نعمان يتسم بلغته المسبوكة والمبنية بدقة مستندا إلى المجاز والاستعارات بينما يأتي شعر روعي حسان مثلا مباشرا غير موارب. وهي فروقات

**هناك إذن تباينات بين المحسوبون على «عرص بوييتيكا» في أساليبهم الشعرية وفي مدى التزامهم بقضية الشرقيين ومنسوب الغضب في شعرهم. وتقول يونيت نعمان: «أنا شخصيا، لا أعتقد أنه بالإمكان أن نؤسس مشروعا شعريا على الغضب وحده. في الإنسان أبعاد أخرى وجوانب عديدة غير الغضب وكنتُ أنا كشاعرة أريد أن أعبّر عنها كلّها».**

تقودنا إلى النقاش الدائر حول مدى فنية هذا الشعر وجماليته الغنائية. وهو يذكرنا بنقاش دائر في أوساط الحركة النقدية الإسرائيلية حيال الشعر الفلسطيني الذي غالبا ما وُصف في فترات سابقة بأنه شعر بلاكاتي ـ أي شعاراتي مباشر يخلو من الجمالية. وهكذا يرى نقاد الحركة الشعرية العبرية إلى شعر الحركة على أنه كذلك ـ الكثير من الاحتجاج والشكوى والقليل من الجمالية.

تقول يونيت نعمان: «في شعر الحركة عامل مهم جدا بالنسبة للمجتمع الشرقي ومجمل الثقافة الإسرائيلية. فهي ظاهرة احتجاج ثقافية سياسية مهمة على صعيد المشهد العام. رواية جديدة متحدية ومستأنفة تسأل أسئلة صعبة. وهذا ضروري في رأيي». وبالرغم من هذا لا يزال النقد الإسرائيلي للظاهرة يُشير إلى الوهن الشعري الفني في نصوص الحركة وأنها أخذت الشعر إلى فن استعراضي في إشارة إلى الإقبال على الأمسيات الشعرية.

ونبّهني أصدقائي من الفاعلين الثقافيين الشرقيين إلى حقيقة أن الحركة وما حولها من «ثقافة» تحوّلت إلى صوت شرقي يقمع الأصوات داخل المجتمع الشرقي ويحاصرها. بمعنى، أنه نشأ هنا مبنى أدبي ـ ثقافي ـ سياسي يُريد من الجميع الانصياع والانضواء تحته. وتبرز هنا إشكالية ازدواج الادعاء ضد حركة عرص بوييتيكا. فالنقد الوافد عليها من المؤسسة الثقافية الغربية يتهمها بالهويتية الزائدة وباحتجاجية وبكائية لا تُحسن للشعر ولا تساعده. من ناحية ثانية، من الملاحظ أن النقاد أنفسهم قلّما يتعاملون مع الشعراء الشرقيين إلا إذا كتبوا كشرقيين. وتشير يونيت نعمان إلى أميرة هاس الشاعرة الآتية من بغداد ولا تزال تُبدع: «خُذ مثلا أميرة هاس. فهي من أصول شرقية وقد كتبت الكثير عن شرقيتها وأصولها وماضيها وانتمائها لكنها رفضت أن تبقى هناك فكتبت كشاعرة وكإنسانة ونسوية نشطة عما تريد وترى وتسمع. لم يرُق لها البقاء في حصن هويتها الشرقية. ورغم كونها من أهم شاعرات المرحلة في مستواها ومضامينها وفنيتها وتميزها الشعري، إلا أنها لم تحظ باهتمام النقاد الثقافيين ولا بتقديرهم. ربّما أنها كسرت القالب أو رفضت أفكارهم النمطية وتصنيفاتهم فبقيت خارج العدسة». وكانت هاس صرحت في لقاء أخير لها مع ملحق صحيفة هآرتس أنها لا تأبه بهذه الحالة وأن رأي النقّاد أو توجهاتهم لا تعنيها وأنها ماضية في طريقها الإبداعية.

من الشعراء في هذه الحركة يبرز إلموغ بهار بلغته الأكثر هدوءا وانشغالا بإستطيقا الشعر. ربما دراسته العُليا أثّرت في أسلوبه الشعري. فهو مشغول كالآخرين بما حصل للمجتمع اليهودي الشرقي في إسرائيل لكن في شعره نزعة إنسانية حوارية. وهذا خلافا للعديد من زملائه مثل شلومو حتوكا الأقرب إلى روعي حسان. فحتوكا يبدو «منفلتا» تجاه النُخب الغربية وما نزلته من قمع بحق الشرقيين.

هناك إذن تباينات بين المحسوبون على «عرص بوييتيكا» في أساليبهم الشعرية وفي مدى التزامهم بقضية الشرقيين ومنسوب الغضب في شعرهم. وتقول يونيت نعمان: «أنا شخصيا، لا أعتقد أنه بالإمكان أن نؤسس مشروعا شعريا على الغضب وحده. في الإنسان أبعاد أخرى وجوانب عديدة غير الغضب وكنتُ أنا كشاعرة أريد أن أعبّر عنها كلّها». وفي هذا ما يُشبه نقاشات داخل الثقافة العربية عامة والفلسطينية بوجه الخصوص. فهل يُمكن أن يكون مشروع الشاعر برمته قضية المرأة أو حتى قضية فلسطين! بمعنى أن الشاعر إذا حصر نفسه في موضوع أو التزم لقضية إنما يأتي وقت يصير فيه شعره متوقعا وغير باعث على الدهشة والشغف. وأدعي أن في هذا القول الكثير من الصحة لأن مفردات الشاعر في مثل هذه الحالة ستكون محدودة وكذلك مضامينه. وهو ما يُؤخذ هنا على حركة «عرص بوييتيك» التي تقوم على أساس نقد الغبن التاريخي الواقع على الشرقيين من منطلقات الهوية الشرقية والفكر النسوي في حال كان الأمر بشأن شاعرات ينتمين إلى هذه الحركة.

## في دولة الأشكناز*

**روعي حسان**

في دولة الأشكناز يتفتّح اللوز
في دولة الأشكناز ينتظرون شيفا (طباخا)
لا شريكا
يغسلون أيديهم بالصابون، وحتى عندها
يلمسونك من بعيد
لا يصافحون بالكفّ
في دولة الأشكناز أنا طعام
حارّ وبيت حميم
في دولة الأشكناز أنا «مُفليطا»*
أنا حفلة
أنا كرامة
أنا كسول
أنا كل شيء لم يكن هنا من قبل
عندما كان كل شيء أبيض
أنا الدمار
والخراب
الشيطان الرجيم
الجانح مع «الكيبا»
في المحكمة
أنا قُبور الصديقين
والتميمة
أنا العرص
وأنا هيا نصفّق
وموسيقى رخيصة
ثقافة دنيا
أنا جذر عنيد
وشوكة في المؤخّرة
أنا كذّاب
فالعنصرية صارت في خبر كان
وماتت من زمان
أنا «أخذوا مني وشربوا من دمي»
أنا مجرّد متباكٍ
أنا جسم غير معرّف
غرسوه هنا

* مقطع من القصيدة التي اعتُبرت بطاقة هوية لروعي حسان، و"مفليطا" طبخة لليهود الشرقيين

## أنا الشرقية *

**عدي كيسار**

أنا الشرقية
التي لا تعرفون
أنا الشرقية
التي لا تذكرون
التي تستطيع تلاوة
كل أغاني
زوهر أرغوب
وتقرأ ألبير كامي
وبولجاكوف
وتمزج كل هذا برويّة
على نار هادئة
حليب ولحمة
أسود وأبيض
فتسمّم قطرات البخار
سماءكم ذات الأزرق والأبيض
فماذا أمكنكم أن تفعلوا بي؟

*مقطع من نص طويل «أنا الشرقية» يعكس التحدي الذي تواجه به عدي كيسار المجتمع الإسرائيلي الأشكنازي. وهو طويل عادة ما تقرأه في الأمسيات ويشكل ماركتها المسجلة.

## لا يفهمون*

**تهيلا حكيمي**

أحيانا، يقولون لي،
نحن لا نفهم الشعر،
ويختفون في ثنايا التلفزيون والجرائد
وأجيب:
ليس هناك ما يُفهم.
أنا في الشعر
أقوم وأنام
وأعي
الحالة الوجودية
للكلمة
لا أفهم الشعر
أنا أفهم وَلْولة علامات الوقف،
بقايا الحركات.
عندما كنتُ طفلة زجروني،
امشِ مُنتصبة القامة
احكي بوضوح
لا تبتلعي الكلمات
وفي حرّ جهنم من صيف ما
انفتحت بالوعة في طريق الحدود مع الأردن.

*من ديوانها بعنوان «غدا نعمل»

## العالم يتوقف على حافة كلمة!*

**يونيت نعمان**

ها هو أبي
قال يوئيلي
وهو في طريقه إلى الروضة الجديدة
على الرصيف في آخر أصبع المعلّمة
رأيت رجلا يافعا
يسير لابسا بزّة
جيش الدفاع.
هذا ليس أبوك
قلت لابني،
وتوقفت في وسط الجُملة.
كلمتا هذا جندي،
علقتا في حنجرتي
مشدودتين تماما.
حتى لا يعرف الآن
إلى أين يذهب الجنود
وماذا تفعل الجيوش
وكيف تمتثل.

*من ديوانها الأول ـ «عندما نزلنا عن الشجر» ـ إشارة لما كان يقوله الأشكناز عن الشرقيين من اليهود ساخرين منهم أنهم نزلوا للتو عن الأشجار تلميحا لكونهم أقرب إلى القرود في الغابة.